«مَاذا بَعـد ... ؟!» عَن زيَارة السَّادَات

ردا على مقال د. نافذ نزال في صحيفة "القدس" يوم ١٩٧٨.٥.٨

مذ حوالي خمسة اشهر بدأت بمحاولة لتقديم تقييم تاريخي لزيارة السادات لاسرائيل في اطار الخلفية التاريخية لتطور القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي، وذلك من منطلق سعي انظمة اليمين العربي لتصفية قضية الوجود الوطني للشعب الفلسطيني التي شكلت خلال الثلاثين سنة الماضية احد المحاور الرئيسية في صدام الحركة الوطنية العربية مع الصهيونية. كما كنت قد اشرت في مناسبات عديده الى ان سعي تلك الانظمة من اجل حل ازمة صدام الحركة الوطنية العربية مع الصهيونية قد زامن قيامها بسلسلة من التراجعات والتنازلات التي هدفت الى القضاء على المكاسب التي انجزتها تلك الحركة في صراعها مع الاستعمار على مستوى المنطقة ككل. وتحديدا قمت بطرح زيارة السادات لاسرائيل كحلقة اخرى في سلسلة تلك التراجعات - كالاتفاق على عروبة ووطنية مصر، وانتهاج سياسة الانفتاح - الاقتصادي تجاه الاستثمارات الراسمالية الغربية، ودخول مصر في تحالفات معورية مع انظمة اليمين الرجعية في المنطقة ابتداء بالحسن الثاني غربا وانتهاء بشاه ايران شرقا. وتزعم السادات لكل ما هو معادي للشيوعية وللاتحاد السوفياتي ايضا. (قريبا ستقوم مجلة "الجديد الجامعي" بنشر هذه الدراسة على حلقات).

وعلى مستوى القضية الوطنية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره، فقد اتخذت هذه التراجعات شكل اعلان السادات بأن "٩٩ بالمئة من اوراق الحل هي في ايدي امريكا" وقيامه بذرف دموع التماسيح على "الفلسطينيين الحقيقيين" الذين يعانون من الاحتلال، محاولا الالتفاف على كون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، والتراجه بان يقوم "بروفيسور امريكي من اصل فلسطيني بتمثيل الفلسطينيين" تارة ومحاولته نفخ "قيادات بديلة" قامت بمقابلة او طلبت مقابلته - بما في ذلك بروفيسورين امريكيين من اصل فلسطيني.

واحد هؤلاء هو د. نافذ نزال الذي قام فيما قام به خلال الخمسة شهور الماضية، بنشر مقال على الصفحة الاولى لجريدة القدس تحت عنوان "خمسة شهور بعد زيارة السادات..... وماذا بعد؟

لا اريد الدخول هنا في عرض سجل من يحاولون هذه الايام القفز على عجلة تمثيل "الفلسطينيين الحقيقيين". وتكفي الاشارة الى ان الدكتور نزال قد قام برفقة بروفيسور امريكي اخر من اصل فلسطيني بطلب مقابلة السادات الذي صادفت زيارته اشتراكهما في مؤتمر "نيو اورلوك" في تل ابيب. بعدها بشهرين قام باجراء مقابلة صحفية نشرتها صحيفة "الاهرام" ثم بعد ذلك بشهر اشترك الى جانب شخصيات "حقيقية" اخرى بلقاء مع مجموعة من رجال الاعمال الامريكان في اريحا حيث طرح عليهم وجهة نظره من حل "مشكلة الفلسطينيين".

والمقال مليء بالمغالطات والايحاءات التي تميز كتابات "خبراء الشؤون العربية" في جامعات كل من الولايات المتحدة واسرائيل وعلى مستويي الاسلوب والمضمون معاً. فالدكتور نزال يفتتحه بعبارة "ان زيارة الرئيس انور السادات الى القدس لم تكن تهدف الى التحدث مع الاسرائيليين بقدر ما كانت تهدف الى اخذ مبادرة التسوية من الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية.

لن نسأل الدكتور نزال عن مفهوم "عدم التحدث" بالنسبة له، لان اجابته تأتي سريعة "وواضحة" عندما يقول: "لقد حضر السادات الى القدس شخصيا للبحث عن مخرج سريع في اعقاب تعثر مفاوضات التسوية، واعتمد على نفسه للتفاوض مع الاسرائيليين مباشرة لاختصار الوقت". هذا اذن "تفاوض مباشر" قام به السادات "شخصيا" ليس بهدف "التحدث" بل "لاختصار الوقت".

واذا كان اسلوب الدكتور نزال على هذا الجانب من عدم التسلسل المنطقي، فماذا عن المضمون السياسي لطروحاته. هنا يهزل الدكتور نزال على منوال السادات نفسه عندما يحاول تفسير "تعثر مفاوضات التسوية" والاسباب التي دفعته الى القيام بتلك الزيارة بقوله "في حينه شعر السادات بأن الدولتين العظميين لم تلبيا حاجات مصر بالقدر الكافي. فالروس لم يعطوا مصر حاجاتها العسكرية، لترجيح ورقة الحساب، والامريكيون اعطوا ما عندهم في عهد كيسنجر".

هكذا اذن: فالمأزق المرج الذي وجد السادات نفسه فيه والذي ادى الى تعثر "تلك المفاوضات نتج .في نظر "الدكتور"، وفي نظر السادات ايضاء عن رفض "الروس" اعطاء مصر حاجاتها العسكرية. واذا كان الروس" هم المسؤولون عن ذلك، كما يحاول الدكتور نزال الايحاء به هنا، والذي يتناسب ودعاوى السادات نفسه، واليمين العربي بشكل عام، في تبرير العداء للاتحاد السوفياتي والانفتاح السياسي" على الاستعمار الامريكي بهدف "تحييده" فماذا عن امكانيات التحييد تلك؟

هنا يقدم الدكتور نزال الى جوقة نفخ "البنجرات والمكتسبات" التي "حققتها" زيارة السادات لاسرائيل. وعلى الرغم من انه يعترف كالسادات، من انه "بالفعل لم يحصل على شيء حتى الان." فانه يؤكد بارتياح هو اقرب الى الابتذال للمجهود الذي تقدمه برباره وولترز من اجل خدمة القضية العربية، يؤكد على ان السادات "استطاع اقناع الكثيرين في الولايات المتحدة" بأن الشعب المصري "على الاقل" يريد السلام.

وفيما عدا ذلك فان الدكتور نزال لا يبحث في اصل عداء الاستعمار الامريكي للشعوب العربية وتحالفه مع الصهيونية، "الامريكيون اعطوا ما عندهم في عهد كيسنجر" بكلمات اخرى وصلوا الى الحد الاقصى من "التنازل" واذا اردنا "ايجابيا" فعلينا تقديم تنازلات اكبر. هذا هو الايحاء المبطن لدى الدكتور نزال، والمفضوح لدى السادات.

وبالفعل فإن التنازلات التي قدمها السادات، خلال الخمسة شهور الماضية، لم يعد بالامكان اخفاؤها مهما حاول الدكتور نزال ذلك. فالسادات الذي لم يسمه الا ان يعترف في خطابه امام الكنيست بأن حقوق شعب فلسطين، وبطالبه العادلة" هي جوهر الصراع والمدخل الوحيد لحله، قام في نفس الوقت بتجاهل متعمد لمسألة كون منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب ولتلك الحقوق. وخلال شهر واحد فقط قام بتقديم تنازل اخر، عندما صرح عقب زيارة كارتر لاسوان عن الحاجة فقط لـ "اشراك" الفلسطينيين في تقرير مصيرهم. وها هو اليوم يقدم تنازلا ثالثا، عندما يقترح ارجاع الضفة والقطاع الى الاردن ومصر على التوالي. وذلك كهدية متواضعة يقدمها السادات الى الملك الاردني بمناسبة "عرس التضامن العربي" الذي طنطنت له الاردن خلال الخمسة شهور الماضية على الطريقة الهاشمية.

هذه الخطوة الاخيرة من السادات، والتي تطابق اساسيين لتهديد ربط الاردن بعملة معادرة مقابل وعده اياه بالصفة، الخ السياسية. والثانية، الاعتراف وجود الحركة الوطنية الممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

والدكتور نزال يفسر الخطوة "على ما يبدو" من حاجة السادات في تحسين مزلته من ناحية. وطمس التحرير في تمثيل الوطنية الفلسطيني العاملة بقوله: "وانا لست ضد اسرائيل، ولكنني اعتبر من الافضل لو تم المباشر معها من خلال العربية باشتراك اصحاب الفلسطينية".

هنا لا يكتفي الدكتور بعدم تحديد الهوية لمطالب "اصحاب القضية الفلسطينية". من الدخول في "مأزق" مشروع "الادارة الذاتية" السادات يعهد للفلوجة الاونة الاخيرة. الدكتور نزال اكثر عندما يوجه تهجين لمنظمة التحرير الفلسطيني "على السادات ان يعترف اسرائيل بالتفاوض مع اصحاب القضية الشرعيين (؟!)". وان السادات ان يفعل ذلك الفلسطينيين، ولا اظن اية دولة عربية مستعدة وحماية منظمة الفلسطينية".....كذا!!

يقي على ان نزال بترك هذه الاوهام تاريخ القضية الفلسطينية الكثير ..... الكثير. ان التاريخ هو اقصر الطرق تشويهه، والحاق الضرر القضية الفلسطينية" اولئك الذين يشرفون لهم.

د. سليم
جامعة

السادات يواجه تحديات جديدة

اعتبر المراقبون قرار حزب التجمع التقدمي بعدم حل نفسه تأكيدا على تحدي هذا الحزب للاجراءات التعسفية المعادية للديموقراطية التي اتخذها السادات.

كما اعتبر المراقبون ان خطابات السادات الاخيرة في الوحدات العسكرية ودفاعه عن اجراءاته دليلا على ان هذه الاجراءات لم تلاق الترحيب في اوساط القوات المسلحة مثلما لم تلاق في اوساط المواطنين الذين قاطعت نسبة كبيرة منهم الاستفتاء.

السادات يهدد الصحفيين الأجانب

القاهرة - هدد السادات الصحفيين الاجانب المقيمين في مصر للمرة الثانية خلال اسبوع "بانه سيقول لهم مع السلامة ان هم استمروا في نقل صور "غير حقيقية" عن الاوضاع في مصر.....!!

وقال ان نفس الانضباط الساري على الصحفيين المصريين سيطبق عليهم والا فليذهبوا الى بيوتهم....

ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الصحفيين ليسوا من الماركسيين ولا ينتسبون لحزب التجمع التقدمي. ولكن جريمتهم هي انهم ينقلون جانبا بسيطا من حقائق الوضع المتردي في مصر.

احتكارات جديدة ستدخل مصر

واشنطن - تعتزم ثلاثة احتكارات امريكية كبرى تقديم عطاء مشترك، لتنفيذ مشروع للاتصالات التلفونية في مصر. وتبلغ تكاليفه في السنوات الخمس الاولى (٣) مليارات دولار. ويستكمل في مدة عشرين سنة. وسيصل عدد التلفونات التي سيقيمها هذا العطاء الى حوالي (٥) ملايين تلفون.

ومن الجدير بالذكر ان المستثمرين الامريكان يشكون من عدم وجود شبكة اتصالات كافية في مصر وان استمرار المشروع لمدة عشرين سنة يستهدف ربط الاقتصاد المصري اكثر فاكثر بالاقتصاد الغربي وتقديم التسهيلات الاتصالية لقدوم احتكارات اخرى، وهذا ما سيزيد معاناة الشعب المصري على المدى الطويل من "الانفتاح الاقتصادي".

مراسل غربي يتحدث عن تدهور سمعة السادات بعد الاستفتاء

القاهرة - قال ديبلوماسي غربي، يقيم في العاصمة المصرية منذ عدة سنوات، "ان ما يدهشني هو ان اجراءات السادات الاخيرة لم ترهب الشعب المصري.

وتكبت حريات شعوبها منذ زمن طويل، ولم تكن اي منها ترغب في وجود اية مظاهرة ليبرالية في اية دولة عربية مجاورة لها.

وقد رد الملك حسين على اسئلة طلاب الجامعة الاردنية، في اعقاب استشهاد المواطن عمر حماد على يد المغاربات الاردنية، بأن الحريات في الاردن اكثر منها في اي بلد عربي مجاور.

والمقارنة تتلخص في نسبة ضحايا انعدام الحريات بين الدول العربية. اما الاجراءات التي اتخذها السادات فهي موجودة في عدد من الدول العربية، ومنها الاردن طبعا، منذ زمن طويل وبدون استفتاءات ولا ما يحزنون.

وقد قال احد المثقفين لمراسل النيويورك تايمز "لقد كانت الديموقراطية دائما في مصر استعراضا يقوم به شخص واحد. ولكن على الاقل، لم يكن احد يدعي في السابق ان الامر على عكس ذلك كما يحدث الان.

ومع ان السادات قد اتخذ اجراءات مشددة في محاولة لتجنب

ويقول المراسلون الاجانب ان اجراءات السادات المقيدة للحريات لقيت ترحيبا لدى عدد من الدول العربية. ولم تقم بشجبها رسميا غير ليبيا. ويعلل هؤلاء المراسلون ترحيب تلك الدول العربية بانها هي الاخرى تمارس هذه الاجراءات